الدرس السابع، ماستر2 تاريخ وحضارة الغرب الإسلامي

مقياس التواصل الثقافي، د سي عبد القادر

2 المظاهر العلمية

لقد مثلت المظاهر العلمية أبرز مظاهر التواصل الثقافي بين المغرب والمشرق، وقد ظهر هذا التأثير في جوانب عديدة من خلال حركة العلماء والطلبة من المغرب الى المشرق حيث شارك الكثير منهم وظائف مختلفة، حيث شملت ميادين التدريس والقضاء والطب وغيرها.

1. في مجال التدريس ومناهجه. نظرا للعدد الكبير للمرتحلين من المغرب الى المشرق فقد مارس هؤلاء مهمة التدريس في أكبر المراكز العلمية في بلاد المشرق، كمت نتج عن هذه الحركة العلمية الاطلاع على مناهج التعليم في المنطقتين، فنتج اقتباس لطرق التدريس من الجانبين، فقد اقبس المغاربة من المشرق خاصة مصر طريقة الحوار أي السؤال والجواب وهي طريق كانت منتشرة في القاهرة هذه الطرقية التي تجعل من الطالب أساس العملية التعليمية من خلال الحوار المستمر بين الطلبة بينما الأستاذ يقوم بالتوجيه وإدارة المناقشة، ومن ابرز العلماء الذين نقلوا هذه الطريقة، ابني الإمام و عمران المشدالي، وقد لقيت هذه الطريقة ترحيبا من المدرسين والطلبة. (عبد الرحمن بلعرج، الرجع السابق)

ومن مناهج التدريس التي انتقلت عن طريق علماء الذين رحلوا الى المشق ظاهرة الكراسي العلمية خاصة من مصر، وقد كان كل كرسي مخصص لمادة معينة، وتقام هذه الدروس في المدارس والمساجد.

ومن اشهر علماء المغرب الذين زاروا المشرق واشتغلوا بالتدريس وتأثروا بمناهج المشرق، أبو القاسم بن زيتون الذي رحل من افريقية الى المشرق وتأثر بمنهج المشارقة، كما رحل الى المشرق من المغرب الأقصى ابن شعيب الدكالي و من المغرب الوسط ناصر الدين المشدالي، من الذين درسوا بالمشرق ابن مرزوق الخطيب الذي تولى التدريس بالمدرسة الصرغتمشية والمدرسة النجمية، ومن الذين تولى التدريس أيضا بمصر محمد بن عبد اله حافي راسه المتوفى 693هـ، كما اشارت بعض المصادر الى أن أبا الفضل محمد بن الامام تولى التدريس ببيت المقدس، كما درس ابن خلدون بالمدرسة القمحية والمدرسة البرقوقية. (ابن مريم، البستان)

ومن الأندلس رحل أبو عبد الله بن سراقة الشاطبي وتولى مشيخة دار الحديث بحلب ومشيخة دار الحديث بالقاهرة، أما أبو بكر محمد بن عبد الله الاندلسي فقد تولى التدريس بالرباط الناصري ودرس بالفاضلية بمصر، اما فتح الدين بن سيد الناس المتوفى سنة 734هـ فقد تولى تدريس الحديث بالمدرسة الظاهرية بمصر كما تولى التدريس بالجامع الاموي بدمشق الفقيه أبو العباس بن أحمد بن فرج الاشبيلي. (سي عبد القادر، التواصل الثقافي بين الاندلس ومصر).

ومن الأماكن الهامة التي درس فيها المغربة والتي لها قيمة كبيرة عندهم هي مكة والمدينة، ومن هؤلاء العلماء أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن غصن الاشبيلي، وأبو بكر بن يوسف بن مسدي تولى التدريس بمكة والمدينة، ومنهم أبا عبد الله محمد بن عالب بن يونس الجياني.

2- ومن الوظائف التي تولاها علماء المغرب **القضاء**، وخاصة قضاء المالكية ومن أبرز هؤلاء عبد الرحمن بن خلدون الذي تولى القضاء بمصر، ومحمد بن أبي

القاسم الربيعي التونسي الذي تولى القضاء بالإسكندرية، وعبد السلام بن علي الزواوي الذي تولى القضاء بمدينة دمشق، كما اشتغل المغاربة بوظيفة الطب نظرا لما كان يتمتع به هؤلاء خاصة علماء الاندلس، من الذين اشتغلوا بالطب في المشرق، الطبيب عبد المنعم الجليلي الذي خدم صلاح الدين لفترة طويلة، والطبيب أبو تمام غالب بن محمد اللخمي الاندلسي الذي عمل بالبيمارستان بالقاهرة، وابن الرومية الذي خدم بمصر المالك العادل، والطبيب أبو مروان موسى بن ميمون القرطبي اليهودي اسلم في المغرب وحفظ القرآن ثم رحل الى مصر وخدم الناصر صلاح الدين.

أما من علماء الاندلس فقد تولى القضاء كل من أبي عبد الله بنعلي بن الأزرق تولى قضاء المالكية بمصر وإسماعيل بن محمد بن هاني اللخمي الغرناطي تولى قضاء المالكية بحماة ببلاد الشام، وشهاب الدين أحمد بن مهاجر الوادي أشي تولى القضاء بحلب. (المقري نفح الطيب)

3ـ المراسلات العلمية. لقد ساعد انتشار المذاهب السنية في بلاد المغرب والمشرق على تنشيط حركة التبادل العلمي والمراسلات خاصة ما تعلق منها بالفتوى والاستفسار عن الأمور الدينية، فكان الكثير من علماء المغرب يستفتون علماء المشرق كلما استعصت عليهم مسألة معينة، ومن ذلك رسالة كتبها سحنون الى عبد الملك بن الماجشون يذكر له ما حدث في بلاد المغرب من كلام في التشبيه والقرآن ويسأله الجواب، فكان رد ابن الماجشون "من عبد الله بن الماجشون الى سحنون بن سعيد سلام عيك، سألتني عن مسائل ليست من شأن أهل العلم والعمل بها جهل، فيكفيك من مضى من صدر هذه الأمة انهم اتبعوا بإحسان ولم يخوضوا في شيء" (القاضي عياض، ترتيب المدارك ج 2)ز

ومن المشرق كتب علي بن أحمد بن إسماعيل البغدادي الذي سكن مصر الى فقهاء القيروان رسالة يدعوهم فيها الى الاعتزال والقول بالقدر والمخلوق وغير ذلك من مذهبهم، مكا كان عبد الله بن غانم قاضي القيروان إذا اشكلت عليه قضية أجل الحكم فيها حتى يراسل مالك بن أنس وستفسره فيها.

كما ظاهرة الاستفسار عن المسائل الفقهية لم تقتصر على الرسائل بل كانت تتم عن طريق الوفود الى المشرق عندما يلتقون بعلماء المشرق، هذه المرسلات تدل على قوة العلاقة الثقافية بين العلماء في انحاء العالم الإسلامي، إن هذه المرسلات العلمية وتبادل المصنفات كان تأثيرها إيجابيا على الحياة العلمية في بلاد المغرب والمشرق، كما ساهمت من جهة أخرى في ازدهار الحياة العلمية وكثرة التأليف وهي دليل على متانة العلاقة بين العلماء والاحترام المتبادل.